

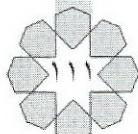
## مَعَالِمُ التَّقَوْفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

### فِي مَدِينَةِ دَمْشَقِ:

#### مَحْمُولُ الْحَجِّ الشَّامِيِّ

الأستاذ رضوان الحجار

باحث في شؤون الحضارة الإسلامية



نتابع في الجزء الثالث من مقالة معالم الثقافة الإسلامية في مدينة دمشق المنشورة في العدد رقم ١٢٣ و ١٢٤ الحديث عمّا تطويه تلك المدينة من أعمق وأسرار لا يعرفها إلا من أحب هذه المدينة العريقة في الحضارة والموغلة بالتاريخ والثقافة.

وسنتحدث في هذا المقال عن محمل الحج الشامي الشريف والذي اكتسبت بسببه مدينة دمشق لقب «شام شريف»، وحظيت بسببه بمكانة دينية مرموقة بين الأنصار والأقطار.

إنه لا يخفى على أحد أن فريضة الحج هي الركن الخامس من أركان الإسلام، ولقد كان الحج وما زال أحد مظاهر الوحدة الإسلامية، حيث يجتمع على صعيد واحد في عرفات يوم الحج الأكبر المسلمين من مختلف الأقطار والأنصار من مختلف الأعراق والأجناس لباسهم واحد ونذاؤهم واحد ((لبيك اللهُمَّ لبيك)). يفدون من كل حدب وصوب قاطعيين الفيافي والقفار وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق.

لقد كانت الكعبة المشرفة هي أول بيت الله وضع على الأرض لما هبط إليها



سيدنا آدم عليه السلام، ولقد كان الحج هو نداء سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما أمره الله تعالى بأن يؤذن للناس بالحج، وفي الحج كانت وصية رسول الله لأمته من بعده في يوم الجمعة وفي يوم الحج الأكبر وعلى أرض عرفات عندما قال عليه الصلاة والسلام : ((لَا ترجموا بعدي ضلالاً يضر ببعضكم رقاب بعض، إن دماءكم وأعراضكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد)).

لقد كان الحجاج تهفو قلوبهم لبلاد الحرمين مهبط وحي نبيهم عليه الصلاة والسلام وقبلة المسلمين عبر التاريخ الإسلامي المديد من أربعة مسارات للقوافل البرية، وهي المحمل الشامي والعراقي والمصري واليمني، ولكن المحمل الرسمي الذي يقوده مثل السلطان ويحمل فيه كسوة الكعبة الشريفة والحجرة الشريفة كان يطلق عليه المحمل السلطاني، ففي عهد العباسين كان المحمل السلطاني هو المحمل العراقي، وفي عهد المماليك كان المحمل المصري هو المحمل السلطاني، وفي العهد العثماني كان المحمل الشامي هو المحل السلطاني، وقد كان مركز انطلاقه من مدينة دمشق، حيث كان يتجمع الحجاج فيها مع كل سنة في شهر رمضان وكأنه موعد ثابت، ويمليون الخانات والزوايا والأزقة والحرات التي كانت فيها مثل خان أسعد باشا في البزورية وخان الحرمين في باب بريد وزاوية الهند وزاوية الموصل في السوقية وفي حي الأمين وقرب مزارات ومقامات آل البيت الأطهار والصحابة الكرام في باب صغير وغيرها، وكانوا يفدون من أمصار وأقطار شمال وشرق العالم الإسلامي من البلاد الشامية ومن بلاد الروم كالأناضول والروملي، ومن البلقان كالألبان والبشناق، ومن القوقاز كالشراكين والشيشان والداغستان، ومن العراق كالموصل وبغداد، ومن بلاد الجزيرة كمرعش وحران وأورفه وماردين، ومن بلاد العجم كشيراز وأصفهان والري، ومن بلاد الأكراد كآمد وأربيل، ومن بلاد ماوراء النهرين أو بلاد آسيا الوسطى كسمرقند وطشقند وبخارى، ومن بلاد روسيا مثل تترستان وبشكيريا واستراخان، ومن بلاد الهند مثل دلهي ولاهور، ومن خراسان مثل طوس وهراء وبلغ ومرزو ونيسابور

وغيرها الكثير من الأصقاع والأقطار، لأنها روافد لنهر ينبع في دمشق ويجري زاخراً دافقاً حتى يصب مضيئاً في المسجد الحرام، فقد كان المحمل العراقي في العهد العثماني متوقفاً وأصبحت دمشق مركزاً لجتماع الحجاج من كل هذه الأقاليم الواسعة والشاسعة، وقد اعتاد الحجاج أن يحضروا معهم منتجاتهم المحلية ليبيعوها في أسواق دمشق العامرة، وبذلك كان موسم الحج فترة تزدهر فيه الحركة التجارية في المدينة.

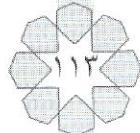
إن أشهر مظاهر المحمل الشامي ما يسمى «السنجق»، والسنجق عبارة عن هيكل خشبي مسجى بقطعة قماش متين مزخرف بالأيات القرآنية والنقوش، يوضع بداخله نسخة من القرآن الكريم وكسوة الكعبة الشريفة والحجرة الشريفة، يحمل على جمل قوي<sup>(١)</sup>، وكانت العادة جارية أن يخرج المحمل الشريف من منطقة السنجقدار في أواخر شهر رمضان فيطاف به في أرجاء المدينة إعلاناً لبدء افتتاح موسم الحج والتهيؤ له، وقد كانت هذه العادة من مراسيم وتقاليد المحمل الشامي.

وبهذه المناسبة كانت تفتح مستودعات ومخازن مؤن ولوازم رحلة وقادلة الحج والتي معظمها في منطقة البحصة وذلك للتأهب لتجهيز سفرة الحج، وكان يجري بهذه المناسبة كذلك إخراج مواعين وقراب الزيتون والزيت المدخرة من وقت الحصاد والتي عادة ما كانت تجلب من معاصر (جمع معصرة) منطقة كفرسوسة خاصة لتجهز مع مؤونة وزاد السفرة.

ولأهمية المحمل الشامي كان السلطان العثماني بنفسه يصدر مرسوماً بتعيين أمير للحج، وكان يخصص له عدد من الجنود والمدفعية، وكان يتولى إمرة الحج أحد ولاة الولايات الشامية كنابلس وصيدا وأحياناً يتولها وإلي دمشق

(١) منير كيلاني، محمل الحج الشامي، مطبوعات وزارة الثقافة السورية ٢٠٠٦.

(٢) كان للعثمانيين نظم إدارية لتقسيمات الأقاليم، حيث قسمت الأقاليم لولايات وكل ولاية يرأسها وإلي يلقب بالباشا، والولاية تقسم لعدد من السناحق يرأسها موظف يلقب بالبايك، والسنجق يقسم لعدد من التواهي يرأسها الأغا، والناحية تقسم لحارات يرأسها المختار، وقد عرفت البلاد الشامية أربع ولايات في العهد العثماني هي دمشق وحلب وطرابلس وصيدا. د/ عبد الكريم رافق، المشرق العربي في العهد العثماني، ص ٦٨.

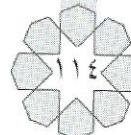




بنفسه<sup>(٢)</sup>، ثم لما كثرت الفتن والغلاقل داخل مدينة دمشق كان يعهد بإمرة الحج إلى قائد عسكري برتبة باشا<sup>(٣)</sup>.

وفي أواسط شوال كان المحمل الشريف يخرج من منطقة السنجدار برأسمه أمير الحج وفي مقدمته السنجد الذي يحمل الكسوة الشريفة يودعه أعيان البلد من مسؤولين وعلماء ويخرج الأهالي من صغار وكبار لوداع موكب المحمل في مشهد مهيب وكأنه زفة عرس ماراً بالدرويشية ثم السنانية ثم السويقة ثم الميدان حتى محلة البوابة ثم منطقة القدم في ظاهر البلدة.

ويتابع المحمل سيره في مساره التاريخي كما ذكره كبار الرحالة مثل الشيخ عبد الغني النابلسي في كتابه المسمى ((الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز)) فبعد أن يتجاوز المحمل عمران المدينة يمررون بخان دنون (تحريف عامي لكلمة ذي نون) قرب الكسوة ثم مزيريب ثم المفرق ثم الزرقاء ثم البلقاء ثم وادي قطرانه ثم معان ثم تبوك ثم وادي القرى في منطقة العلا وصولاً للمدينة المنورة، وقد كان العثمانيون أقاموا على طول الخط البري قلاعاً وحاميات لتأمين حماية قافلة الحج.



وقد كان لأمير الحج عدة مراسم وتقالييد عليه القيام بها لتأمين رحلة آمنة، فمن مراسم المحمل ما يسمى بـ«الصرة» وهو عبارة عن أموال وهدايا كانت ترسل من العاصمة إسطنبول وتوكل لموظف يلقب بالصرة أميني وتصرف على أمراء البدو في طريق المحمل الشامي كي يتالف قلوبهم ويمتنعوا عن السطو والتعرض لقافلة المحمل بالسلب والنهب، ومن مهمات أمير الحج كذلك تأمين جاهزية الآبار في الطريق للشرب، وأحياناً كان أمير الحج يعين أميراً للركب مهمته حراسة القافلة.

(٢) عرفت مدينة دمشق خلال العهد العثماني عدة مجموعات أو طوائف عسكرية كانت تشكل فرقاً من الانكشارية، وأهمها اليرلية، قابي قول، دالية، مغاربة، تنكجية، وقد تحولت بعد فقدانها لتقالييد الانضباط العسكري لفرق فوضوية تثير أعمال الشغب والغيث خصوصاً في الأزماء التي تنتشر فيها الجائح والمجاعات ويقل القوت والزاد وينتشر الطفر (الفقر والبطالة)، وكذلك وظفهم بعض الولاة كمرتزقة لتصفية خصومهم. د/عبد الكريم رافق، المشرق العربي في العهد العثماني، ص ١٨٩.

وأجرت العادة أن يدفع نصف مبلغ الصرة في طريق الذهاب ونصفه الآخر في طريق العودة، وهو يتضمن أجرة البدو كأدلة للقافلة، ولكن غالباً ما كانت القوافل في طريق العودة تتعرض للاعتداء لأن كثيراً ما كان أمراء الحج يمتنعون عن دفع النصف الثاني من الصرة<sup>(٤)</sup>.

ومن مراسيم المحمّل ما يدعى بـ«الجريدة» وهي قافلة تعد لإمداد والإسعاف قافلة الحج في طريق العودة تحمل المؤن والأقوات حيث غالباً ما يكون المحمّل في طريق العودة قد استنفذ المؤونة واستهلك الأقوات.

وقد ارتبط المحمّل الشريف بعدة مهن وحرف كانت شائعة ومنتشرة ثم تعرّضت للانقراض والاندثار بعد ذلك مع التحولات التي جلبتها الحادثة ولكن بقيت آثارها في أسماء وكنى بعض العائلات لأن، فمنها مهن مرتبطة بمعدات الركوب، وكانت أخر وسيلة للركوب ما يسمى بالخت وهو كوخ يحمل على الجمل، ويليهما المحارة وهي محفة توضع على الجمل، وكان المهني الذي يصنعها يدعى «المحايري»، ثم الشباري وهي مثل الصندوق توضع على أقباب السوق والمطاعا، وكان الجمل يحمل اثنين من هذه الشباري، فقد كان الموسر يستأجر التخت ومتوسط الحال يستأجر المحارة والأدنى الشبرية لأنها أقل أدوات الركوب رفاهية وراحة.

ومن مهن الحج «العكام» و«المهتار»، فالعacam هو رجل قوي يتولى سوق إبل المحمّل، والمهتار هو رجل يقوم بنصب الخيام ثم نقضها وفكها أثناء فترات الاستراحة في رحلة المحمّل.

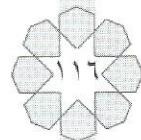
ومنها «الجوخدار» أو الجوقدار أحد مرافقي أمير الحج ينفصل عن ركب المحمّل ويسبقه بحوالي سبعة أيام ليبشر الأهالي بقرب قدوم المحمّل أو لطلب الإغاثة والنجدة إن كانت القافلة تتعرض للعدوان أو للكوارث البيئية كالسيول.

(٤) نود الإشارة للتمييز بين الصرة والخوة، فالخوة هي ضريبة مالية كانت تدفعها القبائل الضعيفة للقبائل القوية، ففي حالة الخصبة كانت تدفع القبائل الصغيرة الخوة مقابل الرعي في حمى القبائل القوية، وفي حالة الجدب كانت تكثر الغارات بين البدو فإذا تعليبت القبائل الصغيرة فإنها تطرد القبائل الأخرى من الحمى وتتجبرها على الرحيل، وهذا يعطينا فكرة على قسوة البيئة البدوية وتأثيرها بالمناخ، أما الصرة فكما ذكرنا.



لقد كان المحمول في طريقه يواجه مخاطر جمة وكان أخطرها على الإطلاق اعتداءات بعض البدو والعربان الذين كانوا لا يتورعون عن مهاجمة قوافل المحمول لا سيما في حالة الوهن والضعف التي تمر بها السلطة المركزية عندما تكون الدولة العثمانية مشغولة بإخماد الفتنة والقلائل فلا تصرف لأمراء البدو الصرة، وفي فترات انتشار القحط والجدب، وكان هؤلاء البدو والعربان المنتشرون في طول درب المحمول أبعد ما يكون عن حياة التحضر والمدنية، قد جعلتهم حياة الصحاري قساوة جفافة فكانوا لا يأبهون ولا يتورعون عن سفك دماء الأبرياء حتى لو كانوا حجاجاً قاصدي الأراضي المقدسة، وقد قال رسول الله: «من خرج من أمتى على أمتي يضرب برها بفاجرها ولا يتحاشى مؤمنها ولا يفي بذي عهد فليس مني»، وقال رسول الله: «لا يزال المرء في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حراماً».

أما أخطر اعتداء عرفه المحمول الشريف ما كان في سنة ١٧٥٧ بعد عزل أسعد باشا من ولايته عن دمشق، وكانت المدينة قد شهدت فترة استقرار في عهده، فقد تعرض المحمول لنكبة مروعة كانت عالمة فارقة في تاريخ حملات المحمول، فقد تعرضت قافلة المحمول للاعتداء في طريق العودة قرب بادية تبوك، وأما قافلة الجردة فقد هوجمت على مقربة من بادية معان، ولم ينج منها إلا المخبر، وهذا يعطينا صورة تاريخية عن مشقة وأحوال رحلة الحج في ذلك الوقت<sup>(٥)</sup>.



لقد كان سفر البر يستغرق قرابة أربعين يوماً من دمشق ليصل للمدينة المنورة، ثم عشرة أيام آخر الوصول لمكة المكرمة، ولكن بعد افتتاح قناة السويس في ١٨٦٩ نشأ الدرب البحري عن طريق ميناء جدة البحري، ولقد كان افتتاح خط الحجاز الحديدي في ١٩٠٨ في عهد السلطان عبد الحميد

(٥) لقد ذكر هذه الحادثة بالتفصيل المؤرخ الشعبي الحلاق البديرى، ولكن فظاعة هذه الحادثة لها أسباب موضوعية لم يذكرها البديرى، فالوالى أسعد باشا كانت له صلات قوية مع الأمراء المحليين فى بلاد الشام مثل الشهابيين أمراء وادى التيم وضاهر العمر أمير الزيانة أو عرب بنى زيدان فى طبرية، ومع عرب بنى صخر وبنى حسن فى البلقاء وغيرهم، وقد وظف تلك الصلات فى تأمين سلامة الحج عندما كان واليا، ولكن يبدو خلعه وهو الوالى القوى ترك فراغاً لم تحاول الدولة العثمانية سده.

الثاني المناسبة التي أنهت رحلة القوافل البرية للمحمل الشامي، ويعتبر خط الحجاز الحديدي من أهم إصلاحات السلطان عبد الحميد الثاني في مواجهة تحديات خطر تعرض دولته للتمزق، فقد استغرق إنشاؤه قرابة ثمانى سنوات منذ ١٩٠١ وهو عمل وقفي إذ تم تمويله من أموال التبرعات التي جمعت من سائر بلدان وأمصار العالم الإسلامي حتى إن منها ما كان بعيد الأفق مثل التبرعات التي وصلت من الهند، وقد بلغ طوله ما يقارب ١٣٠٠ كم. وهو يربط دمشق بالمدينة المنورة، وقد صارت المدة التي يستغرقها المسافرون من دمشق إلى المدينة المنورة لا تتجاوز خمسة أيام بدل أربعين يوماً، وقد خدم هذا الخط كذلك الحجاج المصريين الذين كانوا يقدمون بالسفن من الإسكندرية إلى حيفا ومنها بالسكة الحديدية للمدينة المنورة، وقد زاد بهذا العمل المبارك أعداد الحجاج أضعافاً مضاعفة، فعلى سبيل المثال قد زاد عدد حجاج دمشق وحدهم من ألف حاج إلى ما يقارب عشرين لثلاثين ألفاً تقريباً.<sup>(٦)</sup> لقد ساهم خط الحجاز الحديدي في التطور الاقتصادي وليس فقط في خدمة سفر الحج، فقد كان للخط الحديدي فرع من محطة درعا إلى ميناء حيفا، وقد ساهم ذلك في تطور الحركة التجارية وازدهار حيفا كميناء تجاري في شرق المتوسط وقتذاك.

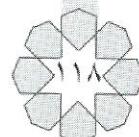
لقد كان إنجاز الخط الحديدي جهداً شاقاً، فكانت السكة تمر بتضاريس وأودية وعرة لذا تم إنشاء حوالي عشرين ألف جسر بقطاطر حجرية في وسط صحراء لاهبة الحرارة والتي مازالت آثارها باقية لليوم وبمساعدة وخبرة مهندسين ألمان، كما تم إنشاء محطات استراحة مزودة بخزانات الماء لتأمين سلامة الحجاج من العطش، وقد استمر العمل به جارياً قرابة ثمانى سنوات حتى سنة ١٩١٦ حيث تعرض للتخريب في الحرب العالمية الأولى على يد الحملة التي كان يديرها المستشرق الملقب بـ لورنس العرب الذي أرسلته القوات الاستعمارية للمنطقة لإثارة الصراع بين القوميات وعلى الأخص بين

(٦) محمد حرب، السلطان عبد الحميد، دار القلم بدمشق، ص ٢١٧.



## القومية العربية والقومية الطورانية تتفيداً لأجندة اتفاقية سايكس بيكو السرية وقتها<sup>(٧)</sup>.

لقد ظهرت القومية الطورانية بسبب نشاط الجمعيات الماسونية التي تدعوا للإتحاد ومعاداة الأديان والإباحية والانحلال الأخلاقي وإبادة الشعوب بدعوى الحرية مثل تنظيم جماعة الاتحاد والترقي الذي دبر للإطاحة بالسلطان عبد الحميد في ١٩٠٩ بسبب موقفه الراسخ في رفضه التجاوب مع الإغراءات التي عرضت عليه من قبل الصهيونية في سد ديون الدولة العثمانية الباهظة مقابل منح المستوطنين اليهود أراض لهم في فلسطين، فقد كان السلطان عبد الحميد يعتقد حاكمية الشرع فيها بأنها أرض وقف للمسلمين وليس أرضاً يملكها هو أو أجداده حتى يملك التصرف بها.



ولقد فرضت جماعة الاتحاد والترقي بعد نجاح إنقلابها سياسة التترك على الشعوب العربية بالإكراه والقهر فدفعتهم للتمرد والثورة، وقد كانت جماعة الاتحاديين تتبنى الأفكار الغربية المضادة للإسلام ولكنها استغلت بعض شعارات الدين عند مخاطبتها للناس للتأثير عليهم والتحريض ضد السلطان عبد الحميد<sup>(٨)</sup>.  
لقد تعايشت في منطقة الشرق الأوسط قوميات عديدة وأجناس متنوعة طوال عقود وقرنون بسلام وتسامح في ظل الإسلام الحنيف، لأن الإسلام نبذ العصبيات القبلية والقومية والتي هي من دعوى الجاهلية فكما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: ((كلم من آدم وآدم من تراب، لا فخر لعربي على أعمى، ولا أعمى على عربي إلا بالقوى)), وقال عليه الصلاة والسلام: ((إن الله عز وجل قد أذهب عنكم حمية الجاهلية وفخرها بالآباء، فالناس رجال مؤمن تقى، وفاجر شقي)).

(٧) نوند الإشارة أن المفكر العربي إدوار سعيد في كتابه القيم (الاستشراق) أجرى دراسة عميقة لمفهوم الاستشراق على أساس تحليلي للفكر والوعي التي تتجهها العلاقة بين المعرفة والسلطة وخلص إلى نتيجة أن الاستشراق الغربي توصل في أحياته لشروع تخيلي لا يمثل الواقع الحقيقي، فالاستشراق نظر للشرق على أنه ثروات وموارد وأثار وديمقراطية ونظر للتتنوع الثقافي فيه لكونه مهد الحضارات على أنه مجتمع فسيفاتي قابل للتفكك والانقسام، وهي رؤية معرفية تخيلية للشرق متولدة من الرغبات الاستعمارية، فلا عجب أن يكون أشهر من هاجم هذه الدراسة المستشراق برناردويس أحد أبرز منظري مشروع الشرق الأوسط الجديد.

(٨) محمد حرب، السلطان عبد الحميد، دار القلم بدمشق، ص ٢٨٢.

وللأسف عندما سادت تلك العصبيات كثقافة اجتماعية في الجاهلية الأولى أدت لإنتاج حروب طاحنة وأشعلت صراعات دامية كحرب داوس والغبراء، وحرب البسوس، وحرب الفجار بين قريش وهوازن، وحرب بعاث بين الأوس والخزر، والتي أدت للثراء الفاحش لطواحيت يهود يثرب كبني قينقاع وبني النضير مما تحصده ديون الحرب التي كان يقرضونها بالربا للأخوة الأعداء. وقد أشار القرآن الكريم لمساوئ العصبيات والتزاعات والنزاعات الشعوبية

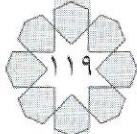
عندما وصفها بحمية الجاهلية في قوله تعالى:

{إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيمَةَ حَمِيمَةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْزَّمَهُمْ كَلِمَةً النَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلُهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا}. [الفتح-٢٦].

لقد قام السلطان عبد الحميد الثاني بحملة إصلاحات لمكافحة مظاهر التخلف من الجهل والأمية في وسط البدو والعربان الذين كانوا ينزعون للتمرد بسبب خشونة طباعهم البعيدة عن حياة التحضر وأهمها إنشاء مدرسة العشائر والتي ضمت إليها نخبة من أبناء العشائر في المنطقة العربية لنشر التعليم والثقافة المدنية بين أبنائها، وإقامة مشاريع الاستصلاح الزراعي للأراضي القاحلة في البايدية<sup>(٩)</sup>. وما يذكر من إصلاحات السلطان عبد الحميد لمدينة دمشق قيام حسين ناظم باشا والي دمشق في عهده بإنشاء مدرسة التمريض والتي تحولت بعد ذلك للجامعة السورية، وكذلك إنشاء أسبلة سقاية في دمشق من مياه الفوجة بعدما كان السكان يشربون من مياه النهر الملوثة.

لقد كان من العادات الدمشقية الأصلية هي الاحتفالات التي يستقبل بها الحجاج العائدون من أداء المناسك وزيارة الروضة الشريفة من عراضة ومولد وزينة، وهذا يدل على حفاوة هذه المناسبة في قلوب الدمشقيين، وقد كان احتفال المولد النبوى الشريف سابقاً ومازال عند الأسر الدمشقية العريقة والمحافظة على أصالة تراثها من أهم أشكال الفلكلور والعادات الاجتماعية التي تدل على أصالة التراث الدمشقي، وهو يقام في عدة مناسبات أشهرها مناسبة

(٩) محمد حرب، السلطان عبد الحميد، دار القلم بدمشق، ص ٢٠٢.





كتب الكتاب (إشهار عقد الزواج) ومناسبة المباركة بالمولود والعودة من الحج، ويتم افتتاحها عادة بتلاوة لآيات قرآنية ثم وصلات من الإنشاد بالمديح النبوي بدقائق المزهر أو الدف، وتوزيع صرر الملبس (اللوز المحلي بالسكر) وأحياناً بتوزيع البوبوزه غالباً بالصيف، أو زبدية محلية (حليب محمد بالنشا) غالباً في الشتاء، وهناك العراضة برقصات السيف والترس وبأهازيج شعبية تمدح النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام وزوار الحرمين.

لقد نشأت عادة الاحتفال بالمولود في زمن الأيوبيين الذين عرف في زمانهم إحياء الوازع الديني، وقد ساعدت الثقافة الصوفية عند العثمانيين على انتشار عادة المولد وعادات اجتماعية أخرى مثل التهليلة في التماسي ومجالس الذكر في الزوايا والربط وإنشاد القصائد الصوفية التراثية، مثل بردية البوصيري ومنظومة مولد البرزنجي، وقصيدة الاستغاثة بالأسماء الحسنى للشيخ يوسف النبهاني، ولقد كان من آداب هذه المجالس أن يجتمع الأمراء والفقراء والموسرون والمعدمون سوية، فهذه المجالس تعلم الناس خلق التواضع فالناس سواسية كأسنان المشط، ولكن تعرضت بعض تلك العادات للزوال أو التراجع مع موجة الحداثة والعلمية فبدأت بالانتشار حفلات الأغاني الصاخبة بدل حفلة المولد في مناسبة الأعراس، والحلوى الغربية بدل الحلوي الشرقية، وكان لظهور بعض الحركات المتشددة المتاثرة ببيئة الصحراء وثقافتها أثراً في تعرض هذه العادات الأصلية وما فيها من أصالة وروحانية للتراجع والزوال لأنها تعتبر عادة المولد الكريمة من البدع والزنقة.

بالمقابل شاعت عادات وأنماط تفكير مخالفة للشرع الحنيف بسبب انتشار الجهل والأمية مثل انتشار ثقافة التواكل والرهبة والسلبية عند بعض أدعياء الصوفية، والتعصب المذهبى والتقليد الأعمى والجمود الفقهي فيرى مذهبه الفقهي أو شيخه الذي يقلده هو الحق وما عداه باطل، فللأمس القريب كان في الجامع الأموي أربع محاريب تقام فيه أربع جماعات للفريضة الواحدة، وقد قام بعض المصلحين كالشيخ أحمد كفتارو رحمه الله بإبطال هذه العادة المذمومة وتوحيد المسلمين في صلاة الجمعة، فلماذا اختلاف المسلمين في صلواتهم مادامت عقيدتهم وقبلتهم وقرآنهم وحجتهم واحد؟؟.